ولكن الاستعمار الجديد اذ فقد ـ بذلك ـ قاعدة هامة من قواعد ايديولوجيته في مجال الادب والفن في بلادنا ، صار عليه ان ينقل ساحة المعركة ضد الفكر التحرري العربي الى قاعدة جديدة بل قواعد جديدة .

الادب بين القومية والعالمية :

منذ انتهت ، عندنا ، اسطورة « الفن للفن » طفقت تزحف الى ارضنا الفكرية « اساطير » عدة من انواع اخرى .. وما كنا نجهل ، قبل هذا ، طبيعة الجدل القديم في مسألة القيم الفنية التي ترفع العمل الادبي العظيم لكاتب معين في وطن معين الى مستوى الادب العالمي .. ولكن الذي كنا نجهله ان تستخدم الايديولوجيات الرجعية الاستعمارية هذه المسألة في محاولة هدامة تقصد الى فصم العلاقة الانسانية بين عملية الخلق الادبي وبين الارض التي تستمد منها هذه العملية طاقة الخلق ومادته وعناصره الوجدانية والفنية معا .. كانت المحاولة اشاعة القول في اوساط ادبائنا بأن العمل الادبي لكي يكون في المستوى العالمي ، يجب ان يتخطى الوطنية او القومية ... ان يترفع عن معالجة القضايا اللصيقة بوطن معين وارض معينة وبانسان خاص يعيش في هذا الوطن ويرتبط بشؤون هذه الارض..ذلك لينصرف العمل الادبي لمعالجة المعاني الانسانية الرفيعة غير المرتهنة بمكان خاص ولا بزمان خاص ، بل المعاني الانسانية المتخطية حدود الزمن والمكان.. فهذا هو قوام العالمية .. والعالمية بهذا المعنى هي قوام الخلود الادبي.

ما الذي ترمي اليه هذه المحاولة الجديدة ؟ ..

المسألة واضحة .. انها ترمي ان تحل محل القاعدة المنهارة : « الفن للفن » . فكلتاهما تنتهي بالادب والفن الى الانقطاع عن مجتمعهما : الوطن ، والشعب .. الى العزلة التامة حتى عن قضايا الانسان العربي ومشكلاته المصيرية الكبرى ..

ولكن ، من الذين استجابوا لدعوة هذه المحاولة ؟

استجاب لها فريقان من الادباء العرب : احدهما ، فريق الذين تعيش اذهانهم في دنيا المكتب وحدها ، وتعيش وجداناتهم في عالمهم الداخلي المغلق دون حياة المجتمع ـ الوطن ، وهذا اقل الفريقين عددا .. وثانيهما ، فريق الذين يعرفون ويعون وعيا كاملا ماذا تعني هذه المحاولة ، وهم مستعدون ـ بحكم ارتباطاتهم الايديولوجية والمصلحية ـ ان يؤدوا المهمة التي يرمي اليها الاستعمار الجديد نفسه من اشاعة المكيدة التي تنطوي عليها الفكرة ..

وعلى الاديب العربي الذي يلتزم قضية التحرر العربية ، ان لا يستهين بهذا الفريق ، فهو من حيث عدده ومن حيث طاقاته وممكناته قادر على خدع المواطنين .. انه يملك من الوسائل المادية ومنها وسائل النشر والاعلان والدعاوة ما تجعل ممكناته اكثر تأثيرا من ممكنات الادباء الوطنيين والتقدميين .. فان المؤسسات ذات الوجهين التي اشرنا اليها سابقا : الوجه السياسي الحقيقي ، والوجه « الثقافي » المستعار ، تبسط لهذا الفريق من هذه الممكنات ما يوسع مجال نشاطه.

والاديب العربي الذي يلتزم قضية التحرر العربية يستطيع ـ مع ذلك ـ ان يؤدي رسالته في مكافحة الاستعمار الجديد على هذا الصعيد بان يفضح المغالطة الصارخة التي تقوم عليها فكرة الادب الانساني المنقطع عن جذوره الوطنية او القومية ..

والمغالطة هذه يفضحها منطق الحياة والعلم معا .. ذلك بأن انسانية العمل الادبي لا تقوم بالمجرد ، فليست للانسانية معانيها المطلقة، وانما تنبثق معانيها الرفيعة من الانسان ذاته ، اي الانسان الذي يعيش على هذه الارض بلحمه ودمه ، بفكره ووجدانه ، بنبضات قلبه وحرارة احساسه ، بابعاد وجوده وكينونته .. وهذه الاشياء كلها لا وجود لها الا حيث يتجذر هذا الانسان في تربة تأريخية ، التي تتجسد بعلاقاته مع الارض المعينة والمجتمع المعين ، في اطار الزمن والمكان : في الان ذاته .. وكلما كان العمل الادبي اكثر اتصالا بهذه الجذور كان اعمق انسانية ، واكثر امتلاء بعناصر البقاء ..

ـ التتمة على الصفحة ٩٤ ـ

المشعل المغوار

« من فدائي في قوات العاصفة »

تكسر في دمي ، مثل الزجاج ، بكاك يا أمي
وضيعت الدموع دروبها في وجنة المشتاق ،
واختنقت على شفتي أشياء
وتاقت زفرتي للنار

***

أقول : تفتحت كل المقابر زهرة استشهاد
أقول ، العالم المسعور ،
ينشب في ظلامهم حراب النور
وان المشعل المغوار
يبدد للسبايا جهمة الاصفاد
أقول ... أقول ، أشهق ، من حيائي ، في تقاويلي
وأخجل أن أمس رداءك المحروق يا أمي
فاني في تهاويلي
حملت المشعل المغوار ،
ذدت بوهمي المهزوز ،
عنك وصافحتني النار
لأن المدفع الرشاش ، فوق الكتف ، من طين
وان يبارق الأقدام مبهوره
على وهج الكلام تظل تغريني
وتكبح صولتي ... أستلهم الصوره :
(غدا ... أجتاز طود النار ،
أزرع في فناء الدار زيتوني
غدا ...) وتكدست أضلاع موتانا بباب العار
وهذي الوجنة الخجلى شوتها الريح
فأخجل أن أمسّ اهابك المخروق ،
أخجل أن أبثك لوعة التبريح

***

نسيت ملاعبي ... والدار
نسيت الحب ، والاشواق ، والتذكار
نسيت الموت ، والشهداء ، والاسماء
فوجهي الخوذة السوداء
وصدري المشعل المغوار
أهز الموت ... أرعب كل من ألقاه ،
فعيني حربة عطشى
وكفي حية رقطاء
وضيعت الدموع دروبها في وجنة المشتاق
وغامت زفرتي بالنار ...

بغداد — **تركي الحميري**